**Ondokuz Mayıs Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi**
Ondokuz Mayıs University Review of the Faculty of Divinity

e-ISSN: 2587-1854, OMUİFD Aralık 2025, 59: 643-656

# الحنفي حسام الدين السغناقي من خلال كتابيه الموصل والنجاح التعليل النحوي عند الفقيه

# el-Muvassal ve en-Necâh Adlı Eserleri Özelinde Hanefi Fakihi Hüsameddin es-Siğnâki'nin Nahiv İlmindeki Konumu

**Dr. Öğr. Üyesi Khattab KHATTAB**[1]

[1]Ondokuz Mayıs Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Samsun
· **khattabarabic@gmail.com** · ORCİD > 0000-0001-8284-399X

**Makale Bilgisi/Article Information**

**Makale Türü/Article Types:** Araştırma Makalesi/Research Article
**Geliş Tarihi/Received:** 10 Şubat/February 2025
**Kabul Tarihi/Accepted:** 12 Mayıs/May 2025
**Yıl/Year:** 2025 | **Sayı – Issue:** 59 | **Sayfa/Pages:** 643-656

**Atıf/Cite as:** Khattab, K. "الحنفي حسام الدين السغناقي من خلال كتابيه الموصل والنجاح التعليل النحوي عند الفقيه". Ondokuz Mayıs Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 59, Aralık 2025: 643-656.

https://doi.org/10.17120/omuifd.1636573

**التعليل النحوي عند الفقيه الحنفي حسام الدين السغناقي من خلال كتابيه *الموصل والنجاح***

**الملخّص**

تتنوعُ طرائقُ تفسيرِ الظواهرِ اللغويّةِ لدى اللغويين، فمنهم من يُفسّرها تفسيرًا ظاهريًا مُحتجّاً بقول جمهور اللغويين: هكذا قالتِ العربُ، ومنهم الذي يبحثُ عن أصلٍ لغويّ جامعٍ مبيّنًا به علّةَ تلك الظاهرةِ وعلّةَ عِلّتها، فبدت القواعدُ عند الفريق الأول جامدةً، وبدت القواعدُ ذاتها عند الفريق الثاني مَرنةً لها تأثير إيجابيّ في تيسيرِ فهمِ الطلابِ قواعدَ اللّغةِ العربيّةِ.

وقد اخترتُ فقيهاً حنفيّاً عُنِي بتعليل الظّواهر اللغويّة من خلالِ كتابيه الموصّل في شرحِ المفصّلِ في النّحو للزمخشريّ والنّجاحِ التالي تِلو المراح في الصرف؛ إذِ انفردَ السغناقيّ بنحو اثنيْ عشرةَ عِلّةً يُعدّ كلٌّ منها أصلاً يُقاس عليه كما أنّها تعبر عن طريقةٍ تفاعليّة متميّزة لإفهام الطالبِ لا تقل أهمّية عن الطرائق التي ينادي بها تربويّو العصر الحديث.

مشكلةُ الدراسةِ: الوصول إلى مواطن الاستشهاد عند السغناقي في كتابيه *الموصّل في شرح المفصل والنجاح التالي تلو المراح* وتحليلها لاستنباط ما يُشير إليه من أصل لغويّ أو علّة لظاهرةٍ لغويّة، وقد استغرق هذا وقتا وجُهدا في سبيل تحقيق الهدفِ من المقالةِ وهو بيانُ موقفِ الفقيهِ الحنفيّ من الأصولِ اللغويّةِ التقليديّة وانفراده بأصولٍ أخرى من بُنيّات أفكاره، إضافة إلى الاستفادة من طريقة تعليله الظواهرَ اللغويّة في تيسير فهم القواعد لطلّاب اللغة العربيّة سواء من الناطقين بها أو بغيرها.

الكلماتُ المفتاحيّة: الظواهر اللغويّة، طرائق التعليل، علّة العلّة، الأصولُ اللغويّة، التعليم التفاعليّ.

# EL-MUVASSAL VE EN-NECÂH ADLI ESERLERİ ÖZELİNDE HANEFİ FAKİHİ HÜSAMEDDİN ES-SİĞNÂKİ'NİN NAHİV İLMİNDEKİ KONUMU

## ÖZ

Dil bilimciler, dilsel fenomenleri yorumlama konusunda farklı yaklaşımlar benimsemektedir. Kimi dilciler, dilin kurallarını sabit ve değişmez olarak kabul ederek "Araplar böyle söylemiştir" ilkesiyle açıklarken, bazıları ise bu fenomenlerin kökenine inerek, onların altında yatan sebepleri (illetleri) ve hatta sebeplerin sebeplerini (illetlerin illetlerini) ortaya koymaya çalışmaktadır. İlk yaklaşım dil kurallarını durağan kılarken, ikinci yaklaşım kuralların esnek ve yorumlanabilir olduğunu göstermekte böylece Arapça dil bilgisi kurallarının öğrenimini kolaylaştırmaktadır. Bu çalışmada, Hanefî fakihi Sığnâkî'nin, dilsel fenomenleri gerekçelendirme yöntemleri incelenmiştir. Sığnâkî, *el-Muvassal* adlı nahiv kitabı ve *en-Necâh et-Tâli Tilve'l-Merâh* adlı sarf kitabında yaklaşık on bir illet ortaya koymuş ve bunları nahiv kurallarının anlaşılmasını kolaylaştıran kıyaslanabilir ilkeler olarak sunmuştur. Bu ilkeler, modern pedagojik yaklaşımlara benzer şekilde etkileşimli ve analitik bir öğrenme yöntemi sunmaktadır. Bu çalışmanın temel amacı, Sığnâkî'nin söz konusu eserlerindeki istişhâd noktalarını belirleyerek, onun benimsediği dilsel ilkeleri analiz etmek ve gerekçelendirme (ta'lîl) yöntemlerini ortaya koymaktır. Araştırma, Hanefî fakihinin geleneksel dilsel ilkelere bakışını değerlendirirken, onun özgün fikirlerinden doğan yeni ilkeleri de incelemekte-

dir. Ayrıca, Sığnâkî'nin dilsel fenomenleri gerekçelendirme yönteminin, Arap dili kurallarının öğretimini kolaylaştırmadaki rolü değerlendirilmiş ve hem ana dili Arapça olan hem de olmayan öğrenciler için uygulanabilirliği ele alınmıştır.

***Anahtar Kelimeler:*** Dilsel Fenomenler, Ta'lîl Yöntemleri, İlletin İlleti (Sebebin Sebebi), Dilsel İlkeler, Etkileşimli Eğitim.

❁❁❁

## GRAMMATICAL REASONING ACCORDING TO THE HANAFI JURIST HUSAM AL-DIN AL-SIGHNAQI THROUGH HIS TWO BOOKS: AL-MAWSIL AND AL-NAJAH.

## ABSTRACT

The methods of interpreting linguistic phenomena vary among linguists. Some explain them in a superficial manner, relying on the authority of the majority by saying: "This is how the Arabs spoke." Others search for a comprehensive linguistic origin, clarifying the cause of the phenomenon and even the cause of that cause. Thus, grammatical rules appeared rigid to the former group, while the same rules appeared flexible and positively impactful in facilitating students' understanding of Arabic grammar to the latter group. I have chosen a Hanafi jurist who paid special attention to the reasoning behind linguistic phenomena in his two books: Al-Mawsil—a commentary on Al-Mufassal in grammar by Al-Zamakhshari—and Al-Najah, which follows Al-Marah in morphology. Al-Sighnaqi uniquely identified around twelve causes, each of which serves as a foundational principle that can be analogized upon. His approach also represents a distinctive interactive method to help students understand, which is no less significant than the techniques advocated by modern educators.

Research Problem: The study aims to identify and analyze Al-Sighnaqi's citations in Al-Mawsil and Al-Najah to extract the linguistic principles or causes he refers to behind linguistic phenomena. This required considerable time and effort to achieve the article's goal: to clarify the Hanafi jurist's stance on traditional linguistic foundations and his unique derivation of other foundational principles from his own thought structure. The study also seeks to benefit from his method of reasoning about linguistic phenomena to facilitate grammar comprehension for learners of Arabic, whether native speakers or not.

***Keywords:*** Linguistic Phenomena, Reasoning Methods, Cause of the Cause, Linguistic Principles, İnteractive Learning.

❁❁❁

**مُقدّمةٌ**

إيضاح الغرض من إيقاع الفعل أو سبب وقوعه غاية متفق عليها لدى الفقهاء واللغويين، ولا يركن إليها الفقهاء إلا في بعض أحكامهم المبنية على القياس أو الاجتهاد لأن معظم الأحكام الفقهية توقيفية والأصل فيها ألا يُسأل عن علتها، خلافا للأحكام اللغوية فالعلة غاية عند اللغويين، وعليها يتوقف وجود الشيء وتكون مؤثرا خارجياً، ومنها العلة التامة والناقصة ومنها التعليل بالغرض والتعليل بالسبب، وكان اختياري فقيهًا حنفيًّا عالِمًا باللغة مُطّلعاً على أصولها معتنيًا بالعلة وعلتها موافقا لمعنى التعليل السابق، وهو الإمامُ الحنفيُّ حُسام الدّين السّغناقيّ، وقد عمل الباحث على التربّصُ لموقفِه من العلل اللغويّة وكيفيّة استنباطِه القواعدَ اللّغويّةَ بأصولٍ وعللٍ انفرد بها متأثّرا بعقلِه الفقهيّ، فانفردَ بنحو اثنيْ عشرةَ عِلّةً جديدةً منها على سبيل المثال: علّة التناسب بالأوليّة وعلّة التناسب بالانتهائيّة وعلّة الصون عن النقيصة وعلّة الاشتراك وعلّة التعلّق وعلّة الجهد العضليّ وعلّة رعاية المشاكلة وعلّة العلّة، وسيأتي تفصيلُها في البحث مع ضرب الأمثلة والشواهد عليها من كلام السغناقيّ رحمه الله، وقد اتخذها سبيلا لإفهام طلابه اللغة العربيّة بطرائقَ لا تقلّ أهميّة عن الطرائقِ التي ينادي بها تربويّو العصر الحديث، ويرونها من الأساليب الناجحة في التعلّم الذاتيّ.

وستكون المقالة في مبحثين، الأوّل: نبذة موجزة عن حسام الدين السّغناقيّ، الثاني: التعليل لدى السغناقي، وفيه ذكرت أقسام العلل والفرق بين العلة الفقهية واللغوية وسلطت الضوء على علة العلة ثم ذكرت بإيجاز العللَ المشتركة بين الفقيه واللغويّ، ثم ختمت بالعلل التي انفرد بها السّغناقيّ والنتائج.

## 1 المبحث الأول– الإمامِ الفقيهِ الحنفيّ اللغويّ حسامِ الدّينِ السّغناقيّ.

### 1.1 الاسمُ واللقب ومنزلته العلمية

هو حُسينُ بنُ عليّ بنِ حَجّاجِ بنِ عليّ، حُسامُ الدّينِ السّغناقيّ، كما لُقّب بالصّاغاني والبخاري، قيل: السغناقي بالسين، والصغناقي بالصاد، وكلاهما وَردا في مخطوطة كتاب الوافي لحسام الدين السغناقي اللوحة الأولى من المخطوطة، ومخطوطة الكافي شرح البزدوي آخر سطر في اللوحة الأخيرة، وقيل البخاري نسبة إلى بخارى وقيل الصاغاني نسبة إلى صاغان وكلها أسماء مدن لما وراء النهر[1]، أو أماكن بمرو غرب نهر الوخش [2]، ونعته العلماء بكثير من النعوت العلمية مما يدلّ على منزلته العلميّة الكبيرة بين أهل العلم، فقيل عنه: القدْوة والفهّامة والفقيه والنحويّ والجدليّ[3]، والمتدبّر لكتبه في الفقه أو اللغةِ يلمسُ بنفسه نعوتَ العلماءِ له[4]، ولا شكّ أن علمه يدل عليه ومؤلفاته تشير إليه؛ إذ نشأ نجيباً محباً للعلم والعلماء، فارتحل شابا من أجل طلب العلم على أيدي شيوخه النبهاء، يقول رحمه الله: "إذ أولعت مذ ميطت عني التمائم، ونبطت بي العمائم باستكشاف معضلاتها، واستفتاح مقفلاته [5].

وبعدما أينعت ثمرته، وأورقت شجرته، صار علما معروفا، واسما بين العلماء مألوفا؛ إذ أذن له شيخه الذي تفقه على يديه سنين، وهو الشيخ محمد بن محمد بن نصر البخاري الملقب بحافظ الدين، بعد أن لمح فيه شيخه حسن النجابة والفطانة وصحة الجواب،

---

1 شهاب الدين الحموي، *معجم البلدان* (بيروت: دار صادر، د.ت)، 353/1.
2 حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* (مكتبة المثنى، د.ت)، 1776/2.
3 عمر كحالة، *معجم المؤلفين* (بيروت: مكتبة المثنى، د.ت)، 250/3.
4 عبد الرحمن السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة* (لبنان: المكتبة العصرية، د.ت)، 537/1.
5 حسام الدين السغناقي،الوافي في أصول الفقه (القاهرة:: دار القاهرة، 2003)، 2 من التحقيق.

https://doi.org/10.17120/omuifd.1636573

ففوض إليه الفتوى، وذاع أمره رحمه الله في عواصم الشرق بين أهل العلم وطلابه، فتطلع الكثير إلى لقائه والوقوف بباه، ثم انتقل إلى مركز العلم وملجأ الأدباء والشعراء – بغداد–، فاجتمع بعلمائها، وتوجه إلى دمشق في آخر حياته فدخلها، وصار علما من أعلامها .

وللسغناقي سجايا وصفات لعل من أبرزها الوفاء لشيوخه، ووضوح ذلك يغني عن توضيحه؛ إذ يقول على سبيل المثال في حق شيخه حافظ الدين البخاري ت 693هـ: "فإني لما ظفرت بخدمة الإمام العالم، المحجاج الرباني، البارع الورع الصمداني، أستاذ العلماء، بقية الكبراء، المتفرد بإحياء سير السلف، المتوحد على وجه الغبراء بأنه خير الخلف، مولانا حافظ الدين البخاري، شكر الله مساعيه، وزاد معاليه، قفوت أثره أينما انبعث، والتقطت فوائده كل ما نفث، وهو أيضاً أكرم مثواي ومكنني في الخلد، ورباني تربية الوالد للولد" [6]، وتوالت شهاداته لشيوخه مما يدل على وفائه وتواضعه وليست المقالة محل الإطناب في ذلك.

### 1.2 أشهر شيوخه وتلامذته

للسغناقي شيوخٌ كُثُر، وقد ذكر معظمَهم في خاتمة كتابه *الوافي في شرح المختصرِ في أصولِ الفقه*، وسأذكرهم مختصرا على النحو الآتي: ركن الدين الأفْشَنْجيّ ت 671 هـ صاحب كتاب (حقائق المنظومة)[7]، والإمام حافظ الدين محمد بن نصر البخاري (ت 693 هـ)[8]، وفخر الدين الأَسْفِيذاري ت 698 هـ صاحب كتاب (المقتبس في توضيح ما التبس في شرح المفصل للزمخشري)، وشرفُ الدين الجَنْدي ت 700هـ صاحب (الإقليد في شرح المفصل)[9]، وحافظُ الدين النَّسَفي ت 701 هـ صاحب المستصفى وتفسير مدارك التنزيل وغيرها[10]، وقد اشتُهِر من تلامذته ابنه العلاء بن الحسام السغناقيّ [11]، وكذلك تلميذه جلال الدين العَجْدواني ت 730هـ [12]، وقوام الدين الحَجَنْديّ الكاكي 749 هـ [13]، وقاضي القضاة ناصرُ الدينِ بن العَديم ت 752هـ وغيرهم[14]، ومن العجيب إغفال كتب التراجم لترجمة بعض الذين ذكرهم حسام الدين السغناقي، ولعل السبب في إغفال كتب التراجم والطبقات لهؤلاء الأعلام الأجلاء أنّ السغناقي ومن عاصره أمضَوا حياتهم تحت نار التتار الغاشمين، والعالم يُذكر في كتب التراجم والطبقات غالبا بما ترك من مؤلفات أو شروح؛ فلما ضاعت مؤلفات وشروح الكثير من العلماء، نسي التاريخ ذكرهم، كما أضاعت الحروب رسمهم، ومن هؤلاء من ذكرهم السغناقي وأثنى عليهم وتفقه على أيديهم.

كما أن للسغناقي تلامذة كُثر يضيق المقام عن ذكرهم، وقد ذكرهم محققوا كتب السغناقي لمن أراد التوسع، فمن تلامذته ابنه: العلاء بن حسام السغناقي، وجلال الدين العجدواني، وقوام الدين الحجندي الكاكي، وابن الفصيح الهمذاني وجلال الدين الخوارزمي وقاضي القضاة ناصر الدين بن العديم، وغيرهم.

### 1.3 آثاره ووفاته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ [15]، فآثار العالم سبب رئيس لذكره بعد موته، ومن نعم الله على السغناقي أن أبقى الله له مجموعة

---

6 لمزيد من التبسط في أخلاقه يُنظر: حسام الدين السغناقي، النجاح التالي تلو المراح (مكة المكرمة، جامعة أم القرى)، 26.
7 حسام الدين السغناقي، *الوافي في أصول الفقه* (مكة: جامعة أم القرى، 1997)، 1717/5.
8 السغناقي، *الوافي في أصول الفقه*، 1717/5.
9 خير الدين الزركلي، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين* (بيروت: دار العلم للملايين، 2002)، 254/1.
10 عبد القادر محيي الدين الحنفي، *الجواهر المضية في طبقات الحنفية* (إيران: مير محمد كتب خانه، د.ت)، 270/1.
11 شمس الدين السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، 196/2.
12 السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، 537/1.
13 الزركلي، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين*، 36/7.
14 محيي الدين الحنفي، *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*، 102/2.
15 أبو زكريا محي الدين النووي،رياض الصالحين (بيروت: دار ابن كثير، 2007) 382.

من آثاره العلمية خلدت ذكره بين أهل العلم، وأُرجح أن السبب هو اهتمام صاحبنا –رحمه الله– في بداية طلبه للعلم بعلوم القرآن والحديث الشريف؛ وهذه العلوم يلتف حولها طلبة العلم والكتبة على مر الأزمان والعصور؛ لذا ترك رحمه الله مصنفات متنوعة في أصول الفقه، وفي فروع الحنفية، وفي النحو والصرف، وأخرى في الرد على المبتدعة في الدين، ولم تعبث بتلك المصنفات يدُ الحدثان، فسلم معظمها بفضل الله وحده، وما زال بعضها رهن المكتبات مخطوطة لم تخرج إلى النور بعدُ.

وقد اشتُهر –رحمه الله– بكتابه *الوافي في شرح المنتخب في أصول المذهب* لحسام الدين الأخسكيثي، فلا يُذكر إلا قيل صاحب *الوافي*، وله أيضا *الكافي شرح البَزْدَوي*: شرح لمتن البزدوي *كنز الوصول إلى معرفة الأصول*، كما أن كتابه *النهاية شرح الكتاب الهداية في فروع الحنفية* لبرهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفَرْغاني، المرغيناني، الرِشْتاني نال اهتمام الكثير من العلماء من بعده، فضلا عن كتابَيه نموذج البحث: *المُوَصّل في شَرح المُفَصّل*، وهو شرح لكتاب *المفصل في النّحو* للزمخشري رحمه الله، و*النّجاح التالي تُلو المراح* هو مختصر في علم التصريف، وجميع الكتب التي ذكرتها مطبوعة، وقد اختُلف في تاريخ وفاته؛ فقيل: تُوفّي سنة 711 هـ، وقيل تُوفّي سنة 714 هـ[16] .

نبذة عن كتاب الموصل في شرح المفصل

المؤصّل سماه صاحبنا بهذا الاسم ليكون حلقة وصل بين شروح المفصل المنتشرة ذاك الوقت، فتزداد العبارة به كمالا ووضوحا؛ إذ يقول في مقدمة كتابه الموصل: "أردت أن أجبر نقصان ما فات عن أحدهما بما ذكر في الآخر". وكتاب (الموصّل في شرح المفصّل)، بفتح الصاد في الكلمتين؛ فالثانية: اسم مفعول من (فَصّل)، والأولى إما أن تكون اسم مفعول من (وَصّل)، ومعناها: أن الطالب يصل بهذا الكتاب إلى فهم مفصل الزمخشري، أو تكون الكلمة بكسر الصاد (اسم فاعل) من (وَصَّل) فهي: (مُوَصّل) وتغيّر الكسر إلى فتح على خلاف الأصل للموافقة الصوتية وهو الأرجح، واعتمد على شروح المفصَّل في جمع مادته النحوية كما ذكر في مقدمة كتابه، كما كانت شخصيته بارزة في كتابه بطريقة تجعل القارئ أو الباحث منبهرا بعلم الشيخ، وقد تعددت مصادره وتنوعت، فكانت سببا في غزارة مادته العلمية وتنوعها بين نحو وصرف وبلاغة ولغة وفقه وتفسير.

واعتمد في منهجه على الاقتباس والشرح والتحليل؛ فلم يتناول نص الزمخشري كاملا، بل اقتطف منه، إلا أنه إذا تناول شيئا ما ترك فيه نكتة إلا وضحها، ولا مبهمة إلا أبانها وأظهرها، فربط بين شروح المفصل بجميل شرحه، وبدأ كذلك كتابه بمقدمة ذكر فيها سبب تأليف الموصل، ثم قسم كتابه كذلك إلى أقسام، الأسماء ثم الأفعال والحروف، وتناول رحمه الله نكات (المفصل) بالشرح والتفصيل، وذكر اختلاف النحويين البصريين والكوفيين، ورجح بينهما في معظم القضايا النحوية كما سبق.

موقفه من المفصل:

وافق –رحمه الله– الزمخشريَّ وانتصر له في الكثير من القضايا، وكانت له بعض المآخذ على الزمخشري مما دل على عدم عصبيته إلا للدليل.

نبذة عن كتاب النجاح التالي تلو المراح

تأثر السغناقي تأثرا واضحا في كتابه (النجاح) بكتاب (مراح الأرواح) في علم الصرف، لمؤلفه: أحمد بن علي بن مسعود، أبو الفضائل، حسام الدين متوفى نحو: 700 هـ، والكتاب رسالة متداولة في علم الصرف وليس لصاحبها ترجمة معروفة؛ وقد قابلت بين الكتابين فوجدت السغناقي سائرا على نهج مراح الأرواح، واعتمد على مادته وتعامل مع كتاب المراح كما تعامل مع (المفصل في كتابه الموصل)، فأبان غموضه، وحل مشكلاته، وعلل قواعده نحوية كانت أو صرفية، والذي يؤكد هذا أن السغناقي في مؤلفاته التي وصلت إلينا مخطوطة أو مطبوعة جميعها شروح، فلا ضير بأن يكون (النجاح) شرحا لما أُجمل في (المراح).

16 خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، 1848/2.

وقدم رحمه الله لكتاب(النجاح) بمقدمة بين فيها أهمية علم التصريف الذي يبنى عليه معرفة اشتقاق الأبنية المختلفة من اللفظ الواحد ثم أكد على أن علماء التصريف يحتاجون في معرفة الأوزان الصرفية إلى سبعة أبواب: (الصحيح والمضاعف والمثال والأجوف والناقص واللفيف والمهموز).

## 2 المبحث الثاني– التعليل لدى السغناقي

### 2.1 أقسامُ العِلل

قسّم الفلاسفة العلل تبعا لماهيّتها إلى أربعة أقسام فالأولى هي التي يُسأل عنها بـ (ما الشيء؟) وهي العلّة الماديّة، والثانية بـ (كيف الشيء؟) وهي العلة الصوريّة، والثالثة - (من فعل الشيء؟)، وهي العلة الفاعليّة، والرابعة (لمَ الشيء؟) وهي العلة الغائيّة أو ما يُسمّى عندهم: (بُرهان لِمَ)[17].

### 2.2 الفرق بين العلل الفقهيّة واللغويّة

جعل العلماءُ بين العلل الفقهيّة واللغويّة فرقًا لطيفًا؛ ففرّقوا بينهما من حيث العمومُ والشمولُ، إذ يمكن التماسُ علّة لجميع المسائلِ اللغويّة، أما المسائلُ الفقهيّةُ فهي تعبّديّة والأصل فيها عدم السؤال عن العلّة، إضافة إلى كون علل النحو ترجع إلى الحسّ والطبع بخلاف علل الفقه فهي أمارات تشهد لبعض الأحكام وتعجزُ عن الشهادة لبعضها الآخر[18].

وقد تضاربت آراءُ العلماء في سبقِ العلل النحويّة على الفقهيّة أو العكس؛ فيرى الزمخشريّ ومن تبعه أن أصول الفقه عِلمٌ متأثّرٌ بأصول العربية، ويرى محمد بن الحسن –صاحب أبي حنيفة– أنّ أصولَ العربيّة تأثّرت بأصول الفقه[19]، ولا يترتّب على هذا الاختلاف أثرٌ عمليٌّ في الكلام العربيّ، ويرى الباحثُ أن للعقل الفقهي السبقَ بتقدّم مسائله وقضاياه على الظواهر اللغوية، ولا شكّ أن لكلا العقلين (الفقهي واللغوي) أثراً في الآخر، ولذا كانت بينهما عللٌ مُشتركةٌ كما انفرد كلٌّ منهما بعللٍ مخصوصةٍ، وسنُعنى المقالةُ بما اشترك بينهما ثم بما انفردَ به السغناقيّ من خلال كتابيه، مع الإشارة إلى أثر ذلك في تيسير فهم القواعد اللغويّة للطلاب من الناطقين بها أو بغيرها.

### 2.3 عِلّة العلّة

تختلف علّةُ العلّةِ عن العلّةِ الظاهرةِ التي يتناولها اللغويّون ثم يختلفون فيها بين مُجيز ومانعٍ و مُرجّح ومُوجب، فالعلة الظاهرة نحوَ: عِلّة رفع المبتدأ عند اللغويين واختلافهم في عامل الرفع بين الابتداءِ والخبرِ، أو عِلّة نصب المستثنى واختلافهم فيها بين معنى الاستثناء وأداته، أو عِلّة نصبِ الحال، وغير ذلك من العلل الأوليّة للتراكيب النّحويّة، فليس هذا بيتَ القصيد! إنما أُريد بهذا البحث الوقوف على عِلّة العِلّة، فعاملُ الرفع للمبتدأ عِلّةٌ أوليّة ولم تخلُ منها كتبُ النّحو؛ إذ إنّها عِلّة مبنيّةٌ على الاستقراء الظاهريّ للنصوص، أما عِلّة العِلّة فمبنيةٌ على القراءة التحليليّة العميقة المبنيّة على الأسئلة المركّبة الاستقصائيّة إلى أن يتوقّف بعدها السؤال، ومن ذلك على سبيل المثال:

إذا قيل: كيفَ رُفِعَ المُبتدأُ؟

---

17 يوسف كرم، *تاريخ الفلسفة اليونانية* (القاهرة، 2012)، 95. وذكرت في مقدمة البحث تعريفا مختصرا للتعليل، ولمن أراد التوسع فليرجع إلى التعريفات، الشريف الجرجاني، *التعريفات* (لبنان، 1983)، 104

18 محمد عيد، *أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث* (بيروت: عالم الكتب، 1989)، 115،116.

19 عيد، *أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث*، 117.

أجيب: رُفِع بالابتداءِ أو بالخبرِ على خلافٍ بين النَّحويين[20].

قيل: فلماذا رُفِعَ ولم يُنصب أو يُجر أو يُجزم بالابتداءِ أيضاً؟

أجيب: لأنّ الأصلَ في الكلامِ الرَّفعُ، والأصلُ لا يحتاجُ إلى عاملٍ بخلافِ الفرعِ.

قيل: ولماذا كان الأصلُ الرفعَ دونَ غيرِه من العلاماتِ، ولماذا رفعتُم الاسمَ هنا محتجّينَ بعدمِ وجودِ عاملٍ ولم ترفعوا الماضيَ والأمرَ للعلّة ذاتِها؟

أجيب: لأنّ الاسمَ يدلُّ على الدّيمة والاستمراريّة؛ فكان أقوى الكلامِ العربيّ، ولما كانت الضمّة أثقلَ الحركاتِ بسببِ الجهدِ المبذولِ في إخراجِها، كانت أنسبَ له من غيرِها.

فإن قيل: ولماذا رُفِعَ المضارعُ وليسَ له ما للاسمِ من أحوالٍ وقوّة؟

قيل: هذا الفعلُ مشابهٌ للاسم من حيثُ استطالةُ الزمانِ وامتدادُه؛ إذ يُمكنه الاشتمالُ على زمنَين الحاضرِ والمستقبلِ، بخلافِ الماضي والأمرِ فالأوّل انقضى والثاني لم يقعْ، فضلاً عن اتّفاقِ المضارعِ مع الاسم في الحَرَكاتِ والسّكناتِ، فسُمّي مُضارِعاً أي مُشابِهاً للاسمِ بناءً على ما سَبَقَ، وهكذا...؛ فيكون استقراءُ النصوصِ على النَّحو السابقِ وصولاً إلى غاية العلّة (علّة العلّة)، وهو الحدُّ الذي تتوقفُ عنده عن التساؤل، وسأفصّل ذلك في نهاية العلل التي انفرد بها السغناقي –رحمه الله–

### 2.4 العلل المشتركة بين السغناقي واللغويين

عُني اللغويون بتحليل المسموعِ واستقرائه استقراءً أوّليًا لاستنباط القاعدةِ اللغويّة، واقتفى أثرَهم كلُّ من اشتغل باللغةِ، فكان لاستنباطِ القاعدةِ اللغويّة وإثباتِها عِللٌ دوّنَها بعضُ علماء اللغة نحو الزّجاجي في كتابه *الإيضاح في علل النحو*، وابنِ الورّاقِ في كتابه *علل النحو*، وابن جنّي في خصائصِه، والأنباري في *أسرار العربيّة*، والسُّهيلي في *نتائج الفِكر في النحو*، وغيرهم من الباحثين[21].

وقد اقتفى أثرَ السابقين العلامةُ الفقيهُ اللغويّ حسامُ الدّينِ السّغناقيّ في كتابيه: (المُوصّلي في شرح المُفَصّل) وكذلك (النّجاح الثّالي تِلوَ المَراح)؛ فتنوّعت لديه العلل، فكان منها التقليدي نحو علل الاختصار وأمن اللبس والأولى والتخفيف أو الفرار من الثقل، والحمل على النظير، وحمل الفرع على الأصل، ودلالة الحال، والعوض والقبح وكثرة الاستعمال، وهي علل مكرورة في كتب الأصول النحوية وغيرها من الكتب والبحوث التي تُعنى بالعلل اللغوية، وليست هذه العلل موضوع بحثنا وإنما موضوع البحث العلل التي انفرد بها السغناقي وكان له السبق فيها، وكان لتلك العلل أثرٌ إيجابي في تيسير فهم القاعدة اللغوية.

### 2.5 العلل التي تفرّد بها السغناقي

يعرض السغناقي في كتابيه الظواهر اللغوية معللا لها بطريقة التعليم التفاعلي، وتلك الطريقة هي التي يدعو إليها تربويو العصر الحديث، فيستثير ذهن السامع مُستقصيًا جميعَ الأسئلة الممكنة مع الإجابة عنها بطريقة أكثر تفصيلا وأبلغ تأثيرا، وأينما وضع القارئ يده على فقرة من الكتاب وجد ذلك متحققا فيها، ومن ذلك على سبيل المثال قوله في الضمائر:

«وعُيِّنَتْ الألفُ للمتكلّم؛ لِما أنّ المتكلّم أوّل ما يخرج منه الكلام، والألف من أوّل المخارج، فكان فيها رعاية التناسب بالأوّليّة، ثم قلبت الألف همزة لرفضهم الابتداء بالساكن، ولما بين الألف والهمزة من قرب المخرج، وعُيِّنت الواو للمخاطب، لأنّه منتهى الكلام، والواو من منتهى المخارج، وهو ما بين الشفتين، ثم قلبت الواو تاءً إذ في إبقائها يلزم توالي المعلّين المتماثلين في نحو ووجل

---

20 عبد الرحمن أبو البركات الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين* (بيروت: المكتبة العصرية، 2003)، 38/1.
21 عبد الرحمن أبو البركات الأنباري، *الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو* (بيروت: دار الفكر، 1971)، 105،133.

بالواوين للمخاطب من وجل، ثم لو زيد عليه واو في موضع العطف لزم فيه ثلاث واوات وهو ثقيل جدًّا، مع ما فيه من شبه نباح الكلب، وكلامهم مصون عن مثل هذه النقيصة؛ فقلبوها إلى حرف هو يبدل منها كثيرا، وهو التاء، كما في (نُحمة) أصله (وحمة)....، ثم أتبعت الغائبة المخاطب في (التاء)، لوقوع الشركة لهما في الماضي، نحو: ضربَتْ، وضربْتَ....، وعيّنت الياء للغائب لكونهما وسطيّين، والياء من وسط المخارج، وهو وسط اللسان، وذكر الغائب دائر بين المتكلّم والمخاطب، فيكون وسطيًا، فناسب أن يُعيّن الوسطيّ للوسطيّ، وأما النون فإنما زيدت لتكون علامة للمتكلّم إذا كان معه غيره لكونها علما لذلك في الماضي، أي: ضربنا، غير أنهم لم يجعلوا العلامة هنا في الآخر، كما جعلوها فيه في الماضي؛ إذ إن في رفع المشاكلة بينه وبين الأمثلة الثلاثة الأُخر؛ إذ الهمزة والتاء والياء فيها في الأوّل؛ فجعل ههنا كذلك في رعاية المشاكلة، وهي المناسبة، وفتحت هذه الحروف في مضارع الثلاثيّ نحو: يضرب؛ للخفة، بخلاف الرباعيّ، وما يناسبُه في عدد الحروف من المنشعبات، وهو مضارع (فعلل) ، (أفعل) و (فعّل) ، و(فاعل)؛ لأنّ الرباعيّ فرع للثلاثي... والضمّ فرع للفتح؛ لأنّ الضمّ ثقيل والفتح خفيف، أو لأنّ الضمّ جزء الواو، ومخرج (الواو) عند ضم الشّفتين، والفتح جزء الألف، والألف من أقصى الحلق، فما كان محتاجا إلى العضوين كان فرعا للحرف الذي هو محتاج إلى عضو واحد....»[22].

تفصيلُ القولِ وطريقةُ تناولِه العللَ في الفقرةِ السابقةِ استعمل السغناقي عللًا أفضتْ بها قريحتُه وأثّر في استنباطها عقلُه الفقهي، فبعد تحليلها نجد أنه انفرد بعللٍ على النحو الآتي:

### 2.5.1 علة التناسب بالأولية

الهمزة للمتكلم نحو قولك: (أكتبُ) وهي أوّلُ المخارج (أقصى الحلق) كما أن المتكلم أوّلُ من يخرج الكلام من فِيه، فناسب الأوّلُ الأوّلَ، ولما كان الأصل في الألف السكونُ، قُلِبتْ همزةً لأنه لا يصحّ الابتداءُ بساكنٍ، وفيما سبق قال السغناقي: وعُيّنت الألف للمتكلم؛ لما أن المتكلمَ أول ما يخرج منه الكلام، والألف من أول المخارج، فكان فيها رعاية التناسب بالأولية، ثم قلبت الألف همزة لرفضهم الابتداء بالساكن، ولما بين الألف والهمزة من قرب المخرج.

### 2.5.2 علة التناسب بالانتهائية

واو المضارعة (التاء) هي آخر المخارج (الشّفتين) كما أن المخاطب مُنتهى الكلام، وقُلِبت الواو تاءً لوشيجةِ قرب المخرج وكثرة الإبدال فضلا عن المخالفة كما سيأتي، فقال: وعينت الواو للمخاطب، لأنه منتهى الكلام، والواو من منتهى المخارج، وهو ما بين الشفتين.

### 2.5.3 علة الجري على الأصل

الماضي أصل الأزمنة وهو الموضوع أوّلاً، ثم اشتُقّ منه المضارع، والجري على أصل من علل اللغويين، لكن السغناقي اغتنم تلك العلة لينفرد بها بفهم آخر، الماضي أصل الأزمنة وهو الموضوع أوّلاً، ثم اشتُقّ منه المضارع، فجرى عليه في كون نون المضارعة لجماعة المتكلمين كما أنها في الماضي كذلك في نحو: ضربنا، فقال: وأما النون فإنما زيدت لتكون علامةً للمتكلم إذا كان معه غيره لكونها علما لذلك في الماضي، أي: ضربنا.

---

22 السغناقي، *النجاح النالي نلو المراح*، 195.

### 2.5.4 علة رعاية المشاكلة

رعاية المشاكلة أو المناسبة من العلل الموجودة في معظم أبواب اللغة وقد جعلها السغناقي علّة لكون نون المضارعة مخالفة لموضع نون المتكلمين في الماضي؛ فقال: غير أنهم لم يجعلوا العلامة هنا في الآخر، كما جعلوها فيه في الماضي لرفع المشاكلة بينه وبين الأمثلة الثلاثة الأخر؛ إذ الهمزة والتاء والياء فيها في الأول؛ فجعل نون المتكلمين في المضارع في أوله رعاية المشاكلة لحروف المضارعة الأخرى.

### 2.5.5 علة مخالفة الفرع الأصلَ

قد يزيد الفرع عن الأصل والعكس ولكل بابه، وقد جعل السغناقي علة مخالفة الفرع عن الأصل سببا لضم أحرف المضارعة في الرباعي، فقال: لأن الرباعي فرع للثلاثي... والضم فرع للفتح؛ لأن الضم ثقيل والفتح خفيف.

### 2.5.6 علة الجُهدِ العضلي المبذول

علل السّغناقي لفرعية بعض الأحرف أو الحركات الطويلة أو القصيرة بالجهد المبذول للنطق به، وجعل ذلك سببًا لضم أوّل المضارع من الرّباعي إذ إنّ الضمّة أثقل من الفتحة فكانت أكثر مناسبة، فقال: لأن الضم جزء الواو، ومخرج الواو عند ضم الشفتين، والفتح جزء الألف، والألف من أقصى الحلق، فما كان محتاجًا إلى العضوين كان فرعا للحرف الذي هو محتاج إلى عضو واحد[23]، فالمتأمّل للفقرة السابقة يجد أن السغناقي أورد في فقرة واحدة معظم العلل التي اعتمد عليها النّحويون وزاد عليها من بُنيّات أفكاره ما يثري الدرس النّحويّ

### 2.5.7 علة الصّون عن النقيصة

الصون عن النقيصة من العلل المهملة لغويًا، إلا أنّ السغناقي انفرد بها وأولاها اهتماماً في أكثر من موطن، ومنها علّة قلب واو المضارعة تاءً، إذ إنّ دخول واو العطف على واو المضارع المزيدة على المثال الواوي يؤدّي إلى توالي ثلاث واوات في أول الكلمة (ووجل) وفي نطقها صوت يشبه نباح الكلب؛ وكلام العرب مصون عن هذه النقيصة، وفي ذلك قال: «ثم لو زيد عليه واو في موضع العطف لزم فيه ثلاث واوات وهو ثقيل جدا، مع ما فيه من شبه نباح الكلب، وكلامهم مصون عن مثل هذه النقيصة»

### 2.5.8 علّة الاشتراك

كما وقع المشترك بين الألفاظ وقع أيضاً بين الأحرف المضمرّة، وقد انفرد السغناقي باستعماله تلك العلة في استعمال تاء المضارعة للمخاطب والغائبة، إذ إنّ التاء تقع علامة للتأنيث وتقع تاء خِطاب، فكان ذلك مسوغاً لاشتراكها بين المخاطب والغائبة في المضارع؛ فقال: ثم أتبعت الغائبة المخاطب في (التاء)، لوقوع الشركة لهما في الماضي، نحو: ضربَتْ، وضربْتَ....، وعينت الياء للغائب لكونهما وسطين.

---

23 السغناقي، *النجاح التالي تلو المراح*، 195.

### 2.5.9 علّة المخرج

يُشاعُ استعمالُ علة اتّحاد المخرج وقربه إعلالاً وإبدالاً، أمّا السّغناقي فقد توسّع في استعمالها فجعلها عِلّة معنوية لاختيار ياء المضارعة للغائب؛ إذ إنّ الغائب متوسّط لأنّه دائر بين المتكلّم والمخاطب، والياء تخرج من وسط اللسان فكانت الوسطى للأوسط أي المتوسّط بين المتكلم والمخاطب؛ فقال: والياء من وسط المخارج، وهو وسط اللسان، وذكر الغائب دائر بين المتكلّم والمخاطب، فيكون وسطيًا، فناسب أن يُعيّن الوسطيّ للوسطيّ.

### 2.5.10 عِلّة التعلّق

والتعلّق ارتباطٌ ما بين لفظتين أو جُملتين، وهو نوعان: الأوّلُ تعلّقٌ لفظيٌّ والثّاني معنويٌّ، فالأوّلُ لا يكفي لربطِ الجُمل، أما الثّاني فيُستغنى به عن الرّابط، فإذا تواصلت الجملتان معنوياً فلم يكن ثمة حاجة إلى رابط، وإلا فالرّابط لازم، وقد استعمل السغناقي ذلك لتعليل بعض الأساليب العربيّة، ومن ذلك قوله: والجُمل تقع حالا؛ لأنها نكرةٌ، والجمل تقع مكان النّكراتِ صفاتٍ أو أخبارًا، فتقع أحوالا أيضا، أما عِلّة استحقاق الجملة الاسمية (الواو)، فلأنّها أجنبية عن الجملة الفعلية، وكل واحدة منهما مستبدة بنفسها، مستغنية عن الأخرى، فإذا تواصلتا لم يكن بد من رابط يربطها، وهو (الواو)؛ لأنها للجمع والربط، والتحقيق في هذا هو: أنّ الإعراب لا ينظم الكلمات إلا بعد أن يكون هناك تعلّق معنويّ، فإذا صادفت الإعراب تناول شيئا دون (الواو)، كان ذلك دليلا على تعلّق معنويّ هناك[24]، وبعد تحليل الفقرة السابقة في صورة أسئلةٍ وأجوبةٍ تظهر على النّحو الآتي:

- ما عِلّة وقوع الجمل أحوالًا؟ الجواب: لما وقعت الجمل مكان النكراتِ صفاتٍ وأخبارًا صح وقوعها مكانَ الحال لأنّ الأصلَ في الحالِ التنكيرُ؛ فكان ذلك من بابِ التّوافقِ.
- ما عِلّةُ استحقاق الجملة الاسميّة (واو) الحالية؟ الجواب: لما كانَ صاحبُ الحالِ واقعًا في جملةٍ فعليّة لفظًا أو معنىً، انعدمَ الرّابطُ المعنويُّ بين جملةِ الحال وبين جملةِ صاحبِ الحالِ لكونِها أجنبيةً عنها، فجاءت الواوُ أداةَ ربطٍ وجمعٍ.
- ما أثرُ عدمِ وجودِ الواوِ كرابطٍ بين جُملتين؟ الجواب: يدلّ ذلك على عدمِ وجود رابط معنوي بينهما، فإن صادفت الإعراب تناول شيئا دونَ (الواو)، كان ذلك دليلا على تعلق معنوي بين اللفظين أو الجملتين.

### 2.5.11 عِلّة العِلّة

من أهمّ ما حدا بالسّغناقي إلى محاولةِ تفسيرِ الظواهرِ اللّغويةِ التي يذكرُها في كِتابَيه هو ما يُسمّى بعلة العِلّة، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: وأما (سلامٌ عليكُ) فهذا كلام بسيط نُبّئ عنه بهذه الكلمةِ الوجيزةِ، وحاصله: أنّ الأصل في الأدعية يجب أن تكون فعلاً، نحو: سقاه الله ورعاه، وإن لم تكن فعلاً فمصدرٌ منصوب، نحو: سُقيًا له ورَعيًا، لتبقى دلالته على الفعل، واختير الاسم لذلك ليكون ذلك أدل على الدوام والثبات؛ لأنّ الاسم أدل على الدوام من الفعل، إذ هو يدل على الحدوث والتجدد، ثم لما قصد به زيادة الدوام والثبات اختير ارتفاعه بالابتداء، وأبقي نكرة مع ذلك عملا بجانب الدعاء ومرفوعا عملا بجانب الابتداء توفيرا على الشبهين حظهما، فإن أصل هذا الكلام: (أسلم سلاما عليك) ثم (سلاما عليك)، والدليل على ما ذكرناه قوله تعالى: (إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) [الحجر: 52]، أي نُسلّم عليكم سلاما، وإبراهيم عليه السلام قال: سلام بالرفع لتكون زيادة دلالة على ثبوت معناه ودوامه، وقصد بذلك أن يحيّيهم بأحسن مما حيّوه به، فقال الله: (وإِذا حُيِّيتُم بتحيّةٍ فحيّوا بأحسنَ مِنها أو رُدّوها) [النساء: 86][25].

---

[24] السغناقي، *الموصل في شرح المفصل*، 535/2.
[25] السغناقي، *الموصل في شرح المفصل*، 297/1.

فتناولَ في الفقرةِ السّابقةِ عِلّةَ تنكيرِ (سلامٌ)، واستعملَ السّغناقيّ علة العِلّة مُفسّراً تلك الظّاهرةَ اللغويّةَ؛ فبدأ بالقاعدة الأصولية القائلة: الأدعية تكون بالأفعال، ثم ذكر علة كونها أفعالا بقوله: لتدل على التجدد والاستمرار، كما أشار إلى جواز كونها مصادر مُبيّناً علة ذلك بقوله: إنّ المصدر يُبقي دلالة الكلمة على الفعلية إذ إن أحدهما أصل عن الآخر على خلاف في أيّهما أصل، ثم ذكر سبب اختيار الاسم في قولك: (سلامٌ) فقال: واختير الاسم ليكون ذلك أدل على الدوام والثبات، وذكر علة اختيار الضم هنا خلافا للأصل: لقصد زيادة الدوام والثبات من خلال دلالة الرفع في الكلام العربي.

فجَمع في كلامه بين عِلّةِ رفعِ الاسمِ الواقعِ دعاءً وسببِ تنكيرِه، فقال: تنكيرُه أنفعُ للدّعاء ورفعُه كان تعظيماً لشأنِه بالابتداء، فالتقى على الكلمة حظّان، وذكر في موطنٍ آخر علة التنكير قائلا: إذا أرادوا غاية المبالغة في وصف شيءٍ أن يرموا به مُنكرا غيرَ موصوفٍ إيذاناً منهم بأنه قد بلغ مبلغا تقاصرت العبارات عن الإحاطة بكُنهه، ومن ذلك أيضا قوله في علة مشابهة إنّ وأخواتِها الفعلَ من أربعةِ أوجهٍ، وقد ذكرَ الزّمخشريُّ وجهَينِ هما:

- لزوم الأسماء، (وهكذا الأفعال تلزم فاعلها ومفعولها).
- بناؤها على الفتح (مثل الماضي)[26].

**ثم زاد السغناقي علة العلة بالوجهين التاليَين، فقال:**

- تدخل على المبتدأ والخبر مثل الأفعال.
- فيها معاني الأفعال، ألا ترى قولك: إنّ زيدا ذاهب، أي: أُحقّقُ ذهابه، فشابهت الفعلَ من هذه الوجوه.
- يأتي الفعل منصوبا ومرفوعا فلزم أن يكون العمل هكذا لهذه الحروف، غير أن منصوب هذه الحروف قُدّم على مرفوعها لأوجهٍ ثلاثة:
  - للفرق بينها وبين ما شابهت هي به.
  - إنّ المشبّهَ هو الفِعل له عملان عمل أصلي وعمل فرعي، فالأصلي أن يتقدم مرفوعه على منصوبه، والفرعي على عكس هذا، وهذه فروع، فعملت العمل الفرعي.
  - إنّما قُدّم لئلّا يؤدي إلى إضمارٍ قبلَ الذكرِ[27].

فاعتمد السّغناقي على علّةِ العِلّةِ ليُفسّرَ تلك الظّاهرةَ اللغويّةَ مُستقصيا جميع ما يدور في ذهن المتلقي من أسئلةٍ مجيباً عنها جواباً كافياً.

ومن ذلك ما ذكره في علة تكرار التوحيد في قول الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحِدٌ لا إِلَٰهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، بعد ذكر علة حذف خبر (لا) في قولنا: (لا إله إلا الله) أن علة الحذف متعلقة بالدّلالة السّيّاقية المقدّرة، فقال: (لا إله إلا الله) في الأصل ردٌّ على الجاحد، فكأنه يقول: هل في الوجود إله غير الله؟ فنقول نحن: لا إله إلا الله.

فنراه جعل التقدير في كلمة الشهادة تقديرا خاصّاً مختلفاً عن التقدير في جميع باب لا النافية للجنس، ففي قولك: لا أهل، لا رجل... إلخ، يصح أن تقدر هذا جواباً عن سؤال: هل لكم أو هل لنا؟ فيكون جوابه: لا أهل لكم أو لا رجل لنا، فإذا قدّرنا في كلمة الشهادة ذلك لصار الجواب: لا إله لنا أو لكم، وهذا يتنافى مع معنى التوحيد، لأنه يحتمل أن يقول الجاحد: هب أنه لا إله لكم إلا الله، فلِمَ قلتم: لا إله لجميع المخلوقات إلا الله؛ ولذا كُرّرَ التوحيد في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحِدٌ لا إِلَٰهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]،

---

[26] موفق الدين ابن يعيش، *شرح المفصل للزمخشري* (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، 254/1.
[27] السغناقي، *الموصل في شرح المفصل*، 304/1.

لأنه لما قيل: وإلهكم إله واحد، بقي لسائل أن يقول: هب أن إلهنا واحد، فلِمَ قلتم: أن إله الكل واحد؟ فأزيل هذا السؤال بقوله: {لا إلهَ إلّا هُو الرَّحْمَنُ الرَّحْمَن}[28].

ومن ذلك تعليله لما ذهب إليه البصريون في أصل كلمة (اسم) على (بِمْوٍ) بوزن (قِنْوٍ)، بحذف الواو ونقل سكون الميم إلى السين ثم جلب ألف الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، فقال: "فإن قلت: لماذا حذفت الواو؟ أجيب عن ذلك باستثقالهم تعاقب الحركات الإعرابيّة عليها، فإن قيل: لماذا استُثقلت هنا ولم تُستثقل في نحو: (دَلْوٍ) على الرغم من وجود العلة ذاتها؟ قيل: إن الخروج من الكسرة إلى أخت الضمة وهي الواو وليس بينهما حاجز حصين، يختلف عن الخروج من الفتحة على الواو، فإن قيل: لماذا لم تفعل ذلك في (قِنْوٍ) مع أن فيه ما في (بِمْوٍ)؟ قيل: التخفيف في بِمْو كان باعتبار كثرة الاستعمال كما في نحو حذف الألف من (اسم) في بسم الله دون (اسم) في غيرها في نحو: (اقرأ باسم ربك) لكثرة الاستعمال، وكذلك من (لم يك ينفعهم) ولم يُحذف من: لم يصن مع اتحادهما في العلّة، فإن قيل: لماذا نُقِل سكون الميم إلى الساكن قبلها؟ أجيب: لتعاقب الحركات على الميم بعد حذف الواو، فإن قيل: لماذا أُتوا بالهمزة على وجه الخصوص دون غيرها؟ قيل: لأن الهمزة مختصة بأول المخارج فناسب الأول الأوّل، وهي علّة التناسب بالأوّليّة، فإن قيل: لماذا كُسِرت الهمزة ولم تُضم؟ قيل: الكسر أصل في همزات الوصل[29].

ومما سبق نجدُ أنّ السغناقيّ سأل ستّة أسئلةٍ عن جُملةٍ واحدةٍ ثم أجابَ عن جميعها إجابات مفصّلة، فيتضح ما أراده من عِلّة العلّةِ، ولا شكّ أنّ الفقيهَ اللُّغويّ السغناقيّ يُمثّل مدرسة الرأي في تحليله جميعَ الظواهرِ اللغويةِ التي يذكرها، وهذا راجعٌ إلى تأثّره بعقلِه الفقهيّ، فإنّا وإن وقفنا على جزءٍ من ذلك عند أئمة اللغة، فإنّه لن يكون في جميع الظواهرِ اللغويّة التي تعرِضُ له، خلافًا للسّغناقيّ الذي يَمّم وجهَهُ في جميعِ تفسيراتِه إلى عِلّةِ العلّة.

## الخاتمة

بعد عرض وتحليل بعض مواقف السغناقيّ من تعليل الظواهر اللغويّة وتفصيل القول فيها أعرض أهمَّ النتائج التي ارتآها الباحث وتوصّل إليها:

– أثر اتساعُ مجالِ الفِكرِ والرأيِ لدى الأحناف في السغناقيّ من حيث الفهم اللغويّ، وقد لا يكونُ ذلك قاعدةً مطّردةً في جميع الفقهاء اللغويين، ودليل ذلك عند السغناقي اهتمامه في كتابيه (نموذج البحث) بظاهرة التعليل.

– استعمل السغناقي نحو خمسٍ وعشرينَ علّةً لإثبات ما يذهب إليه أو ينقله من الآراء اللغويّة، وكان منها المشترك كما كان منها علالاً انفرد بها وهي أحرى بالدراسة وينبغي إضافتها إلى علل النحو، وقد فصّلتُ القول فيها.

– من العلل التي انفرد السغناقيّ بها وخصّها بأسماء لم يُسبق إليها في باب العلل: الجري على الأصل، والتعلق، والاشتراك، ورعاية المشاكلة، والجهد العضلي المبذول، ومخالفة الفرع الأصل، والصّونِ عن النّقيصةِ، وعِلّة التّناسبِ بالأوليّةِ، والتّناسبِ بالانتهائيّةِ وغيرها.

– لم يكن السغناقي مقلّدا للسابقين من اللغويين، وإنما يُعدّ مجدّدا من مجدّدي اللغة بأسلوبه التفاعليّ الذي تفرّد به خلال شرحه لكتاب *المفصّل* للزمخشريّ وكذلك تأليفه لكتاب النجاح التالي تلو المراح في الصرف.

– عُني السّغناقي بعِلّة العلّة أو التعليل المركّب؛ فأخذ يفسّر الظواهر اللغوية بعلّةٍ تليها علّة أخرى؛ فيُعَدّ –رحمه الله– بتعليلاته امتداداً لمدرسة أبي الفتح عثمان بن جنّي في خصائصِه، والفارسيّ في الصاحبي، والإمام السُّهيليّ في نتائجِه وفِكَرِه.

---

28 السغناقي، *الموصل في شرح المفصل*، 320/1.
29 السغناقي، *الموصل في شرح المفصل*، 67/1.

– يُفضي ما سبق من دراسةٍ ونتائجَ إلى التوصية بعمل دراسات لغويّة تقارنُ بين اللغويين والفقهاء المعنيّين باللغة، إضافةً إلى وجوبِ معرفةِ متخصّصي العلوم الإسلاميّة قَدْراً صالحاً من اللغةِ العربيّةِ وفهم عِلل الظواهر اللغويّة والتّمييزِ بينَ الألفاظِ الوَضعيّةِ والاستِعارية والتقديمِ والتأخيرِ والحذفِ، والظّاهرِ والمضمرِ والمسكوتِ عنه، والمشتركِ اللفظيّ والمعنويّ والأضداد وقرائن السياق، وغيرِ ذلكَ من وجوهِ الدّلالةِ الّتي هيَ الآلةُ الّتي تُمكّنهُم من لغة العَربِ وتُعينُهم على فهمِ القرآنِ الكَريمِ وعلومِه.

**المصادر والمراجع**


الآمدي، سيف الدين. *الإحكام في أصول الأحكام*. بيروت: دار المكتب الإسلامي،ط2، 1402 هـ.

الأنباري، عبد الرحمن أبو البركات. *الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو*. بيروت: دار الفكر، ط2، 1971.

الأنباري، عبد الرحمن أبو البركات. *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين*. بيروت: المكتبة العصرية، 2003.

الباحسين، يعقوب. *التخريج عند الفقهاء الأصوليين*. الرياض: مكتبة الرشد، 1414 هـ.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. *الخصائص*. مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ط4، د.ت.

ابن حزم، علي. *الإحكام في أصول الأحكام*. بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت.

الحموي، شهاب الدين. *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر، د.ت.

خليفة، حاجي. *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. مكتبة المثنى، د.ت..

الزركشي، بدر الدين. *البرهان في علوم القرآن*. بيروت: دار المعرفة، 1975.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين*. بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 2002.

السخاوي، شمس الدين. *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.

السغناقي، حسام الدين. *الموصل في شرح المفصل*. مكة: جامعة أم القرى، 1998.

السغناقي، حسام الدين. *النجاح العالي تلو المراح*. مكة: جامعة أم القرى، 1414 هـ.

السغناقي، حسام الدين. *الوافي في أصول الفقه*. مكة: جامعة أم القرى، 1997.

السيوطي، عبد الرحمن. *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. لبنان: المكتبة العصرية، د.ت.

الشافعي، محمد. *الرسالة*. مصر: مصطفى الباي الحلبي وأولاده، 1938.

عيد، محمد. *أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث*. مصر: عالم الكتب، 1989.

كحالة، عمر. *معجم المؤلفين*. بيروت: مكتبة المثنى، د.ت.


https://doi.org/10.17120/omuifd.1636573

كرم، يوسف. *تاريخ الفلسفة اليونانية*. القاهرة، 2012.

محيي الدين الحنفي، عبد القادر. *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*. إيران: مير محمد كتب خانه، د.ت.

ابن الوراق، محمد. *علل النحو*. الرياض: مكتبة الرشد، 1999.

## KAYNAKÇA

Âmidî, Ebü'l-Hasen Seyfüddîn Alî b. Muhammed b. Sâlim es-Sa'lebî. *el-İhkâm fî usûli'l-ahkâm.* 4 Cilt. Beyrut: Dârü'l-Mektebi'l-İslâmî, 2. Basım, 1402 /1982.

Bahsîn, Yakub b. Abdülvehhab b. Yusuf. *et-Tahrîc inde'l-fukahâi'l-usûliyyîn.* Riyad: Mektebetü'r-Rüşd, 1414/1994.

Enbârî, Ebü'l-Berekât Kemâlüddîn Abdurrahmân b. Muhammed b. Ubeydillâh el-Enbârî. *el-İğrâb fî cedeli'l-İ'râb ve luma'ü'l-edille fî usûli'n-nahv.* Beyrut: Dârü'l-Fikr, 2. Basım, 1971.

Enbârî, Ebü'l-Berekât. *el-İnsâf fî mesâili'l-hilâf beynü'n-nahviyyîn el-Kûfiyyîn ve'l-Basriyyîn.* 2 cilt. Beyrut: el-Mektebetü'l-Asriyye, 2003.

Halîfe, Mustafa b. Abdullah Hacı. *Keşfü'z-zunûn an esâmi'l-kütübi ve'l-fünûn.* 2 Cilt. Mektebetü'l-Müsenna, ts.

Hamavî, Ebü'l-Abbâs Şihâbüddîn Ahmed b. Muhammed el-Hasenî (el-Hüseynî) el-Hamevî el-Mısrî. *Mu'cemü'l-buldân*. 7 Cilt. Beyrut: Dâr Sâdır, ts.

İbn Cinnî, Ebü'l-Feth Osmân b. Cinnî el-Mevsılî el-Bağdâdî. *el-Hassâis.* 3 Cilt. Mısır: el-Hey'etü'l-Mısriyye li'l-Kitâb, 4. Basım, ts.

İbn Hazm, Ebû Muhammed Alî b. Ahmed b. Saîd b. Hazm el-Endelüsî el-Kurtubî. *el-İhkâm fî usûli'l-ahkâm.* 8 cilt. Beyrut: Dârü'l-Âfâk el-Cedîde, ts..

İbn Yaîş, Ebü'l-Bekā Muvaffakuddîn Yaîş b. Alî b. Yaîş b. Muhammed el-Esedî el-Halebî. *Şerhu'l-Mufassal li'z-Zemahşerî.* 6 Cilt. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-İlmiyye, 2001.

İbnü'l-Verrâk, Ebü'l-Hüseyn (Ebü'l-Hasen) Muhammed b. Sa'd el-Verrâk. *İlelü'n-nahv.* Riyad: Mektebetü'r-Rüşd, 1999.

Îd, Muhammed. *Usûlü'n-nahvi'l-Arabî fî nazari'n-nuhât ve ra'yü İbn Madâ fi Davi İlmi'l-Luğa el-Hadîs.* Mısır: Âlemü'l-Kütüb, 1989.

Kehhâle, Ömer Rızâ. *Mu'cemü'l-müellifîn.* 15 Cilt. Beyrut: Mektebetü'l-Müsenna, ts.

Kerem, Yûsuf. *Târîhu'l-felsefeti'l-Yûnâniyye.* Kahire, 2012.

Muhyiddîn el-Hanefî, Abdulkadir b. Muhammed b. Muhammed b. Nasr Allah bin Salim b. Ebu'l-Vafa el-Kureşî. *el-Cevâhirü'l-mudiyye fî tabakâti'l-Hanefiyye.* 2 Cilt. İran: Mîr Muhammed Kitâb Hânesi, ts..

Sağnâkî, Hüseyin bin Ali bin Haccac bin Ali el-Sağnakî. *el-Mevsıl fî Şerhi'l-Mufassal.* 2 Cilt. Mekke: Ümmü'l-Kurâ Üniversitesi, 1998.

Sağnâkî, Husâmüddîn. *el-Vâfî fî Usûli'l-Fıkh.* Mekke: Ümmü'l-Kurâ Üniversitesi, 1997.

Sağnâkî, Husâmüddîn. *en-Necâhü't-tâlî tilve'l-merâh*. Mekke: Ümmü'l-Kurâ Üniversitesi, 1414/1994.

Sehâvî, Ebü'l-Hayr Şemsüddîn Muhammed b. Abdirrahmân b. Muhammed *es-Sehâvî. ed-Dav'u'l-lâmi' li-ehli'l-karni't-tâsi'*. 6 Cilt. Beyrut: Dâr Mektebetü'l-Hayât, ts..

Süyûtî, Ebü'l-Fazl Celâlüddîn Abdurrahmân b. Ebî Bekr b. Muhammed el-Hudayrî es-Süyûtî eş-Şâfiî. *Bugyetü'l-vuât fî tabakâti'l-luğaviyyîn ve'n-Nuhât.* 2 Cilt. Lübnan: el-Mektebetü'l-Asriyye, ts.

Şâfiî, Ebû Abdillâh Muhammed b. İdrîs b. Abbâs eş-Şâfiî. *er-Risâle*. Mısır: Mustafa el-Bâbî el-Halebî ve Evladuh, 1938.

Zerkeşî, Ebû Abdillâh Bedrüddîn Muhammed b. Bahâdır b. Abdillâh et-Türkî el-Mısrî el-Minhâcî ez-Zerkeşî eş-Şâfiî. *el-Burhân fî ulûmi'l-Kur'ân.* 4 Cilt. Beyrut: Dârü'l-Ma'rife, 1975.

Ziriklî, Ebû Gays Muhammed Hayrüddîn b. Mahmûd b. Muhammed b. Alî b. Fâris ez-Ziriklî ed-Dımaşkī. el-A'lâm: *Kâmûsü terâcim li-eşheri'r-ricâl ve'n-nisâi mine'l-Arab ve'l-müsteşrikîn.* 8 Cilt. Beyrut: Dârü'l-İlm li'l-Melâyîn, 3. Basım, 2002